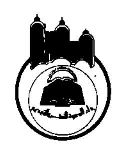
عبد الحميد البلالي

اختي غير المحجبة

مَا المَانع مِنْ الحجَابْ؟

دار الدعوة "١٧"

الطبعة الثانية
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



دار الدعوة للنشر والتوزيع
ت : ٢٦١٥٠٤٥
ص.ب : ٦٦٥٢٠ بيان
الرمز البريدي : 43756
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

يقول تعالىٰ:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾[1].

فالنفس البشرية خلقها الله تعالىٰ، وخلق فيها الاستعداد لسلوك طريق الخير أو طريق الشر. وأمرنا سبحانه وتعالىٰ بالتواصي بالحق والتناصح فيما بيننا وجعل ذلك من صفات الذين يستثنيهم من الخسارة.

كما ورد في سورة العصر، ويبين لنا رسولنا الكريم ﷺ وسلم واجبنا تجاه بعضنا في التناصح فقال: **«المؤمن مرآة المؤمن»**[2] أي ينظر عيوبه ويعرفها من أخيه وكأنه مرآة له، ولكن هذهِ المرآة لا تعكس الصورة الخَلْقِيَّة بل تعكس الصورة الخُلُقية، ولأن الإسلام يحث ويدعو أتباعه لحب بعضهم البعض بأحاديث كثيرة، فإن من أساسات هذه

---

(١) الشمس: ٨.

(٢) الطبراني في «الأوسط» ـ وصححه الألباني (ص. ج. ص. ٦٥٣١).

المحبة تمني دخول أخيك الجنة، وابتعاده عن النار، وألا يقتصر الأمر علىٰ التمني، بل لا بد من بذل ما يمكن من الأسباب لإبعاد أخيك عما يضره في دنياه وآخرته. من هذهِ المنطلقات يأتي هذا الكتيب، وانطلاقاً من المحبة والشفقة التي نكنها لبنات أمتنا الإسلامية، وقومنا العرب، ومجتمعاتنا الخليجية، وحرصنا علىٰ إبعادهن عما يضرهن في الدنيا والآخرة، يأتي إلىٰ فئة خاصة من مجتمعنا ألا وهي فئة الأخوات اللاتي لم يلتزمن الحجاب الشرعي إما لجهل بوجوبه، أو لضعفهن أمام مغريات وجواذب الدنيا، أو هزيمة أمام نفس أمارة بسوء، وشيطانٍ موسوس، أو قرينة سوء لا تحب الخير لبنات جنسها، أو غيرها من الأمور. ونسأل الله تعالىٰ أن تكون هذهِ الكلمات مفاتيح خير لفتح القلوب المقفلة، وتحريك المشاعر النائمة، وعودة أخواتنا من غير الملتزمات بالحجاب إلىٰ الفطرة التي أمر بها الله تعالىٰ.

كما لا يفوتني أن أقدم الشكر الجزيل للمربية الفاضلة الأخت بدرية العزاز علىٰ ملاحظاتها القيمة علىٰ هذا البحث.

نسأل الله السداد والتوفيق وحسن الخاتمة.

* شبهات وشهوات:

إنما يدخل الشيطان علىٰ الإنسان من مدخلين رئيسين ألا وهما الشبهات والشهوات، وما من مقترف لمعصية إلا وكان سبب معصيته لا يخرج عن هذين المدخلين، وكلا الأمران عوائق تعيق المسلم عن تطبيق ما يسبب رضا الله، ودخول الجنة، والابتعاد عن النار. وسنعرض ههنا أهم هذهِ الشبهات والشهوات:

* الشبهة الأولىٰ: كبت الطاقة الجنسية:

تقول هذهِ الشبهة بأن الطاقة الجنسية في الإنسان طاقة كبيرة وخطيرة، وخطورتها تكمن في كبتها، وزيادة الضغط تولد الانفجار، وحجاب المرأة يغطي جمالها وبالتالي فإن الشباب يظلون في كبت جنسي يكاد أن ينفجر أو ينفجر أحياناً علىٰ شكل حوادث الاغتصاب وغيرها، والعلاج لهذهِ المشكلة إنما يكمن في تحرير المرأة من هذا الحجاب لكي ينفس الشباب الكبت الذي فيهم وبالتالي يحدث التشبع لهذهِ الحاجة، فيقل طبقاً لذلك خطورة الانفجار بسبب الكبت والاختناق.

* الرد علىٰ الشبهة:

هذهِ الشبهة تبدو في ظاهرها أنها منطقية، وعقلانية، ويبدو منذ الوهلة الأولىٰ أن الذي يطرحها يبحث عن مصلحة المجتمع خوفاً عليه من الانحلال، وفي واقع الأمر أن الذي يطرح مثل هذا الطرح إنما يسبب في طرحه هذا خطورة عظيمة علىٰ المجتمع تنذر بتفكيكه، وتحطيمه، وقلبه رأساً علىٰ عقب.

فلو كان هذا صحيحاً لكانت أمريكا والدول الأوربية وما شاكلها هي أقل الدول في العالم في حوادث الاغتصاب والتحرش في النساء وما شاكلها من الجرائم الأخلاقية.

ذلك لأن أمريكا والدول الأوربية قد أعطت هذا الجانب عناية كبيرة جداً بحجة الحرية الشخصية إلىٰ درجة أنك ترىٰ المجلات الخليعة تباع في كل مكان، وبرامج التلفزيون بعد الثانية عشر مليئة بالبرامج الخليعة والمثيرة جنسياً، والمرأة هناك إذا ما أقبل الصيف فإنها تخلع ثيابها وتبقىٰ بالمايوه لتستجم علىٰ شاطىء البحر، وفي المدن الساحلية، فإنها تخرج بالمايوه، وفي الكثير من الشواطىء الساحلية، قد أباحوا للمرأة أن تعري صدرها، وتلبس

قطعة واحدة فقط، ومحلات الفيديو والتي يطلق عليها «للبالغين فقط» (Adults only) تنتشر في أمريكا كلها، وفي هذهِ المحلات ما يشيب له الولدان من الإثارة الجنسية والشذوذ، يستطيع أي بالغ، أن يؤجر الفلم ويأخذه إلىٰ بيته أو يراه في المحل، ودور الدعارة تنتشر إلىٰ درجة أن بعض الدول تعرض الزانية في الفترينة ليراها الزبائن من الخارج، فماذا كانت النتائج التي ترتبت علىٰ هذا الانفلات والإباحية؟؟ هل قلت حوادث الاغتصاب؟ وهل حدث التشبع الذي يتحدثون عنه؟؟ وهل حُميت المرأة من هذهِ الخطورة؟؟!

* إحصائيات أمريكية:

في كتاب تصدره الحكومة الفدرالية في أمريكا تحت عنوان «الجريمة في أمريكا» «Crime in U.S.A » وهذا يعني أن إحصائيات الكتاب موثقة من قبل الحكومة، وليس من قبل شركات الإحصاء.

في ص٦ يقول الكتاب «إنه تتم جريمة اغتصاب بالقوة، كل ستة دقائق في أمريكا وهو يتحدث في سنة [١٩٨٨] ويعني بالقوة أي تحت تأثير السلاح.

وفي نفس الكتاب يعرض لنا الإحصائية التالية:

في سنة ١٩٧٨ كانت عدد حالات الاغتصاب في أمريكا ١٤٧,٣٨٩ ألف حالة.

في سنة ١٩٧٩ كانت عدد حالات الاغتصاب في أمريكا ١٦٨,١٣٤ ألف حالة.

في سنة ١٩٨١ كانت عدد حالات الاغتصاب في أمريكا ١٨٩,٤٥ ألف حالة.

في سنة ١٩٨٣ كانت عدد حالات الاغتصاب في أمريكا ٢١١,٦٩١ ألف حالة.

في سنة ١٩٨٧ كانت عدد حالات الاغتصاب في أمريكا ٢٢١,٧٦٤ ألف حالة.

* آية تفسر الإحصائية:

وهذهِ الإحصائية وما يشابهها من أخبار موثقة تدل علىٰ ازدياد معدل الجريمة الجنسية في تلك البلاد ما هي إلا بمثابة تفسير عملي لقوله تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾[٣].

---

(٣) الأحزاب: ٥٩.

وسبب نزول الآية كما ذكر الإمام القرطبي في تفسيره بأن النساء «كن يتبرزن في الصحراء قبل أن تتخذ الكُنُف[٤] - فيقع الفرق بينهن وبين الإماء، فتعرف الحرائر بسترهن، فيكف عن معارضتهن من كان عزباً أو شاباً. وكانت المرأة من نساء المؤمنين قبل نزول هذهِ الآية تتبرز للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار يظن أنها أمة، فتصيح به فيذهب، فشكوا ذلك إلىٰ النبي ﷺ، ونزلت الآية بسبب ذلك»[٥].

وهذا معناه أن المتبرجة التي أبدت مفاتنها وأبرزتها لكل غادٍ ورائح معرضة للأذىٰ من قبل ذئاب البشر. لأنها بذلك تثير الشهوات الكامنة، أما المتحجبة فإنها تخفي تلك المفاتن والزينة، فلا يرى منها إلا الكف والوجه في قول، وفي قول آخر لا يرىٰ منها شيء سوى العين فأي شهوة تثيرها تلك المتحجبة، وأي غريزة تحركها تلك المتغطية. والله تعالىٰ شرع الحجاب ليكون حماية للمرأة من الأذىٰ، لأنه يعلم سبحانه وتعالىٰ بأن التبرج دعوة إلىٰ زيادة الجرائم الجنسية بما يحرك من الغرائز الساكنة.

---

(٤) أي المراحيض.

(٥) تفسير القرطبي (٨/٥٣٢٥) دار الثقافة.

وأمام الذين يصرون بعد ذلك علىٰ تلك الشبهة، ويعتقدون صوابها أربعة حقائق وهي:

* الحقيقة الأولىٰ ـ أن الإحصائيات تكذبهم.

* الحقيقة الثانية ـ أن الغريزة الجنسية موجودة في الرجال والنساء، وهي سر إلهي أودعه الله تعالىٰ في الرجل والمرأة لحكم كثيرة منها ـ استمرار النسل، ولنا أن نتخيل لو لم توجد هذهِ الغريزة كيف سيستمر النسل؟؟!! ولا يمكن لأحد أن ينكر وجود هذهِ الغريزة، ثم يطلب من الرجال أن يتصرفوا طبيعياً أمام مناظر التكشف والتعري دونها اعتبار لوجود تلك الغريزة.

* الحقيقة الثالثة ـ أن الذي يثير الرجل هوَ رؤيته لمفاتن المرأة سواءاً وجهها أو باقي مواضع الإثارة فيها، ولا يمكن أن يصادم الفطرة التي خلقه الله عليها فتخبو شهوته عند رؤية ما يثير.

* الحقيقة الرابعة ـ أن الذي يدعي أنه يمكن معالجة الكبت الجنسي بإشاعة مناظر التبرج والتعري ليحدث التشبع، فإنه بذلك يصل إلىٰ نتيجتين:

الأولىٰ: أن هؤلاء الرجال الذين لا تثيرهم الشهوات

والعورات البادية. من فئة المخصيين، فانقطعت شهوتهم فما عادوا يشعرون بشيء من ذلك الأمر.

الثانية: أن هؤلاء الرجال الذين لا تثيرهم العورات الظاهرة من الذين أصابهم مرض البرود الجنسي.

فهل الذين يدعون صدق تلك الشبهة يريدون من رجال أمتنا أن يكونوا ضمن إحدىٰ هاتين الطائفتين من الرجال؟؟!

* الشبهة الثانية ـ عدم الاقتناع:

وهي أقرب إلىٰ الشهوة واتباع الهوىٰ منها إلىٰ أن تكون شبهة، فإذا سئلت إحدىٰ الأخوات الغير محجبات عن سبب عدم التزامها بالحجاب أجابت «والله لم أقتنع بعد بالحجاب، وعندما أقتنع سأتحجب إن شاء الله».

والأخت التي تتحجج بهذهِ الشبهة لا بد أن تفرق بين أمرين وهما: الأمر الرباني، والأمر البشري.

فإذا كان هذا الأمر هوَ من كلام البشر، فالبشر يخطئون ويصيبون، «وكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب ذلك القبر»[٦] كما قال الإمام مالك، وما دام في حيز كلام البشر فلا يُلزم أحد بالأخذ به، وعلىٰ هذا يمكن لأي إنسان أن يقول «بعدم الاقتناع» ولا يؤاخذ بذلك.

أما إن كان هذا الأمر هوَ من الأوامر الربانية، أي أن الله تعالىٰ هوَ الذي أمر به في كتابه، أو أمر به نبيه بأن

---

(٦) ويقصد به الرسول ﷺ.

يبلغه لأمته، فلا يوجد مجال أن يقول إنسان «أني غير مقتنع» وإن قالها أو قالتها في اعتقاد وهوَ أو هي يعلم أن هذا الأمر قد جاء في كتاب الله تعالىٰ، فهي أو هوَ يعرض نفسه لخطورة الخروج من الملة وهوَ لا يدري، لأن ذلك معناه عدم التصديق والشك في صحة الأمر، وهذهِ من أخطر الكلمات..

ولو أنها قالت: أنا عاصية، أو أن تقول: «أن هواي لا أستطيع مغالبته، ونفسي ضعيفة، أو إرادتي ضعيفة، فكل هذهِ الكلمات وما شاكلها لا توازي كلمة «غير مقتنعة» لأنها كلمات تدل علىٰ الاعتراف بالضعف والخطأ والمعصية، ولا تجعل من نفسها حكماً علىٰ أوامر الله تصحح ما تشاء، وتخطىء ما تشاء، وتأخذ بما تشاء، وتدع ما تشاء.

والله تعالىٰ يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[7].

الموقف المطلوب:

فليس لعبد أن يختار إذا جاء أمر الله تعالىٰ، ما دام

(٧) الأحزاب: ٣٦.

يؤمن به، ويؤمن أنــه أحكم منــه، وأعلم، وأفقــر، وأضعف. بل واجب المؤمن والمؤمنة عند سماع الأمر أن يقولوا ما قال المؤمنون ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[8] وعندما يأمرنا الله تعالىٰ بأمر يعلم أن ذلك في صالحنا، وسبب من أسباب سعادتنا، وعندما أمر المرأة بالحجاب يعلم أن هذا من أسباب سعادتها وكرامتها وعزتها.

ولأن الله سبحانه وتعالىٰ هوَ العالم، وعلمه محيط، يعلم ما كان من قبل خلق البشر، وما سيكون في المستقبل من غير حدود، ويعلم ما لم يكن من الأحداث لو كانت ماذا سيكون، وأمام هذا الاعتقاد الذي ندين به كمسلمين أمن المعقول أن يرد كلام صاحب هذا العلم المحيط، ويؤخذ كلام الناقصين من البشر، ذوي العلم القاصر.

مثال من الواقع:

ونضرب لذلك مثلاً من الواقع، فنقول: إننا إذا اشترينا جهاز الحاسب الآلي، والذي صنعه موجود معنا. وهو يعرف كيفية تشغيله، ويعرف ما به من الألف حتىٰ الياء،

---

(٨) البقرة: ٢٨٥.

فهل من المعقول أن ننادي غسال السيارات ليعلمنا كيفية تشغيله؟! لا يقول عاقل بذلك، بل العقل يدفعنا أن ننادي المتخصص بذلك الجهاز ليشرح لنا كيفية تشغيله، وطريقة إصلاحه إذا تعرض للعطب.

والذي خلق الإنسان، وصنعه، هو رب العباد، لذلك فمن الطبيعي أن يكون هوَ الأعلم بما يضره وينفعه، وأن كل احتكامٍ، وانصياعٍ، واستسلام لغير الله تعالىٰ فهو ضرب من الجنون، والحماقة، والغباء، والحماقة هنا سببها هوَ امتثالنا لمن لا يعلم، ومن يأخذ نصيحة الجاهل فإنه يعرض نفسه للضياع، وهذا ما يحدث لنا كمسلمين وللأسف الشديد، ذلك لأننا طلبنا الجواب ممن لا يملكه. كما أن كثيراً منا لا يعرف ما تعني كلمة «الإسلام» وهوَ الاستسلام والانقياد والخضوع الكامل لأوامر الله تعالىٰ ونواهيه.

* أختي العفيفة لا تقعين في التناقض:

عندما تنصح بعض الأخوات الفاضلات غير المتحجبات بالحجاب، تبادرك إحداهن فتقول إنني مسلمة، مؤمنة محافظة علىٰ الصلوات، وبعض النوافل، وأصوم رمضان، وأديت فريضة الحج، واعتمرت أكثر من

مرة، ومشتركة باستقطاعات شهرية في بعض المشاريع الخيرية، لكنني غير مقتنعة بالحجاب.

*** نقول لهذهِ الأخت الفاضلة:**

إذا كان ما قمت وتقومين به من أعمال جليلة نابع من إيمان واستسلام لما أمرك به الله تعالىٰ، وخوف من عقوبته بترك تلك الواجبات، فلماذا آمنت ببعض ولم تؤمنين بالبعض الآخر ما دام مصدر الأوامر واحد، فكما أن الصلاة التي تحافظين عليها واجبة بنص كتاب الله تعالىٰ، فكذلك الحجاب واجب لا شك في وجوبه في الكتاب والسنة.. أو ما سمعت بتوبيخ الله تعالىٰ لبني إسرائيل بسبب تطبيقهم لبعض أوامره وترك البعض الآخر، إذ قال تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[9] ومن يتذكر ما جاء في الحديث الصحيح «**إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل علىٰ أخمص قدميه. جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم**»[10] فإذا

---

(٩) البقرة: ٨٥.

(١٠) البخاري (١١/ ٣٧٦) في الرقاق.

كان هذا هو أقل الناس عذاباً يوم القيامة، فكيف بمن يهدده الله تعالىٰ بأشد العذاب كما جاء في الآية لمن يؤمن ببعض ويترك بعضاً.

أختي العزيزة..

أمِن أجل المظهر والتفاخر والموضة في الدنيا، تبيعين آخرتك وتستعدين لتحمل هذا العذاب الشديد، ونحن لا نتمنىٰ لك إلا كل خير في الدنيا والآخرة، ونطلب منك تحكيم عقلك في هذا الخيار.

* الشبهة الثالثة: الإيمان في القلب:

فإذا سئلت إحداهن عن سبب عدم التزامها الحجاب ردت تلك الأخت الكريمة «الإيمان في القلب» وهذا الرد من أشهر الردود التي يتناول من قبل أخواتنا العزيزات غير المحجبات. ولنا وقفة مع هذهِ الشبهة.

* مصدر هذه الشبهة:

إنهم يحاولون أن يفسروا بعض الأحاديث علىٰ غير المراد منها مثل قول النبي ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم**»[11] فتراهم يسقطون هذا علىٰ الواقع وهوَ حق أريد به باطل. فصحيح أن الإيمان موضعه القلب إلا أن الرسول ﷺ لم يعني أن الإيمان لا يتم إلا في القلب فقط، وإنما أراد من الحديث أن يبين أهمية الإخلاص في قبول الأعمال، وأن الله لا ينظر إلىٰ الهيآت كالتخاشع في الصلاة وغيرها من الأمور، إنما ينظر إلىٰ القلب وإخلاص النية المجردة من كل ما سوىٰ الله تعالىٰ، والله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص

---

(١١) مسلم (٢٥٦٤).

له. لذلك قال النبي ﷺ: **«التقوىٰ هاهنا، ويشير إلىٰ صدره»**[١٢].

يقول صاحب نزهة المتقين: «أفاد الحديث أن الإثابة علىٰ الأعمال تكون بما انعقد عليه القلب من الإخلاص وصدق النية، والاعتناء بحال القلب وتصحيح مقاصده وتطهيره من كل وصف مذموم يمقته الله»[١٣].

*** تعريف الإيمان:**

أما الإيمان فلا يتم في القلب فقط، ولا يكفي الإيمان في القلب للنجاة من النار والفوز بالجنة. ولقد عرف جمهور علماء السنة والجماعة الإيمان بأنه «اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان» وهذا التعريف تجده في جميع كتب العقيدة، إلا ما شذ منها، ولم يكن علىٰ منهج أهل السنة والجماعة.

*** إكتماله باكتمال الثلاثة:**

لنا أن نتصور أن إنساناً نطق بالإيمان بلسانه، ولكن لم يعتقده قلبه، فهذا شأن المنافقين وكذلك من عمل

---

(١٢) مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة.

(١٣) نزهة المتقين (١/٢٥).

بجوارحه، ولم يعتقده بقلبه، فكذلك هوَ شأن المنافقين، فلقد كانوا يصلون مع النبي ﷺ، ويجاهدون وينفقون ويروحون ويغدون، ولكن قلوبهم ما كانت تؤمن بدين الله تعالىٰ، فحكم الله عليهم بالنفاق، وكان جزاؤهم في الدرك الأسفل من النار. وكذلك من آمن بقلبه ولم يعمل بجوارحه، فهذا شأن إبليس، فقد كان يعتقد بقدرة الله تعالىٰ علىٰ الإحياء والإماتة، لذلك طلب منه النظرة، وكان يعتقد بيوم القيامة، ولكنه لم يعمل بجوارحه بمقتضىٰ هذا الإيمان ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[١٤] ولم تأت آية في القرآن الكريم فيها ذكر الإيمان، من غير اتباعها بالعمل، ودائماً تقرأ ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ فالعمل متلازم مع الإيمان، لا ينفك عنه أبداً.

ونقول لهذهِ الأخت الفاضلة التي تمتنع عن الحجاب بحجة أن «الإيمان في قلبها» نسألها عما تقوم به عندما تطلب منها مسؤولتها في الوظيفة «الناظرة مثلاً» طلباً ما، كعمل تقرير، أو القيام بعمل ما، كالإشراف، أو أخذ أحد الدروس الإضافية، أو القيام بالاحتياط بدلاً من أحد المدرسات الغائبات، أو ما شابهها من الطلبات. هل من

(١٤) البقرة: ٣٤.

المعقول والمقبول أن تقول «أنا مؤمنة» «ومقتنعة» في قلبي بما طلبت الناظرة مني، ولكني لن أقوم بما أرادت مني؟ هل سيقبل ذلك منها؟؟ وماذا سيكون مصيرها؟؟! هذا مثال يتعلق بالبشر، فكيف إذا كان الأمر يتعلق برب البشر، ولله المثل الأعلىٰ.

* الشبهة الرابعة ـ لم يهدني الله :

وترد الكثير من الأخوات غير المحجبات بهذه الشبهة، بقولها: «الله يهديني، أرغب بالحجاب ولكن الله لم يهدني بعد، أدعو لي بالهداية».

والأخت التي تقول ذلك فهي تقع في مغالطة كبيرة ونسأل تلك الأخت الكريمة «كيف علمت بأن الله لم يهدك؟؟».

فإذا كان الجواب بأنها تعلم فهي واحدة من اثنتين:

الأولىٰ: أنها اطلعت علىٰ علم الغيب في الكتاب المكنون، وعلمت منه أنها من الشقيات اللاتي يكون مصيرهن إلىٰ النار.

الثانية: أن مخلوقاً أخبرها بمصيرها، وأنها ليست من المهتديات، إما أن يكون ملكاً، أو إنساناً.

فإذا كان الجواب الطبيعي لهذين الافتراضين بالنفي، فكيف علمت بأن الله لم يهدك؟؟ هذا أمر.

الأمر الثاني أن الله تعالىٰ بين في كتابه الكريم أن الهداية

نوعان:

١) هداية دلالة.
٢) هداية توفيق.

أولاً ـ هداية الدلالة ـ وهذا النوع معناه، الإرشاد إلىٰ الحق، وهـذا ما نشترك به كبشر، مع الخالق سبحانه وتعالىٰ، والرسل.

فالله تعـالىٰ يبين للمخلوقين المكلفين طريق الحق، وطريق الباطل عن طريق رسله، وكتبه، والرسل يبينون لقومهم هذا الطريق.

وكذلك الدعاة، يبينون للناس هذا الطريق. فالجميع مشترك في هذا الأمر.

ثانياً ـ هداية التوفيق:

وهذهِ يختص بها الله سبحانه وتعالىٰ وحده لا شريك له، وهي تثبيت الحق في القلوب، والعصمة من الزلل، والإعانة علىٰ المضي في طريق الحق والثبات عليه، وتحبيب الإيمان وتـزيينـه في القلوب، وتكـريه الكفر والفسوق والعصيان لمن استجاب لله تعالىٰ واهتدىٰ بهديه. وهذا

النوع من الهداية إنما يأتي بعد النوع الأول، فالله تعالىٰ يعرض الحق علىٰ الجميع، وبهذا يقول الحق سبحانه وتعالىٰ ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾[١٥].

وقد أودع الله تعالىٰ في كل مكلف القدرة علىٰ الاختيار بين طريق الحق أو الباطل، فإن اختار الحق بمحض إرادته، جاءت «هداية التوفيق» إذ يقول تعالىٰ في ذلك.

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[١٦].

وإذا اختار الباطل بمحض إرادته، زاده ضلالاً، وحرمه من «هداية التوفيق» إذ يقول تعالىٰ في ذلك.

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾[١٧].

ويقول تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[١٨].

*** مثال لهداية التوفيق:**

ويضرب الشيخ الشعراوي مثالاً جميلاً لهذا النوع من

---

(١٥) فصلت: ١٧.

(١٦) محمد: ١٧.

(١٧) مريم: ٧٥.

(١٨) الصف: ٥.

الهداية، وسنة الله تعالىٰ فيه، فيقول ما معناه: «مثل ذلك مثل رجل يريد أن يسأل عن عنوان، فذهب إلىٰ شرطي المرور يسأله عن العنوان فقال له تذهب الشارع الفلاني، وتنعطف جهة اليمين، ثم الشمال، ثم تسلك الشارع الآخر، وتجد أمامك مبنىٰ لونه كذا، ستجد العنوان هناك.

يقول الشيخ ـ فهذا الرجل بين أمرين إما أن يصدق الشرطي وينطلق حسب التعليمات التي تلقاها. فكلما مضىٰ وتوغل كلما زاد هديه، واقترب من المكان والعنوان الذي يريد.

وإما أن يقول أن ذلك الشرطي كذاب، فيمضي عكس ما قال له الشرطي فكلما توغل كلما زاد ضياعاً، وهكذا هي قصة الهداية والضلال»[١٩].

وهوَ مثال رائع في تقريب هذهِ السنة الربانية، فمن اختار الحق أعانه الله وثبته، ومن اختار الباطل أضله الله، وتركه مع نفسه وشيطانه.

---

(١٩) قال ذلك في محاضرة «هل الإنسان مسير أم مخير» في الكويت في الثمانينات.

* إبذلي سبب الهداية تناليها :

هكذا هي سنة الله تعالىٰ في خلقه، ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[20] وسنة الله تعالىٰ في التغيير إنما تتم حينما يبدأ الإنسان في تغيير نفسه، ويبذل أسباب ذلك التغيير الذي يريد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[21].

فالذي يريد الهداية، ويطلب من الناس أن يدعوا له بها، لا بد أن يبذل أسبابها ولنا في مريم عليها السلام أسوة، فهي تحتاج إلىٰ الطعام، وهي في أقصىٰ حالات الضعف التي تمر بها المرأة وهي في المخاض، فيطلب منها الرب سبحانه وتعالىٰ أمراً لا يقوىٰ عليه أشد الرجال. بل لا يقوىٰ عليه حتىٰ الشديد منهم بمفرده، يطلب منها أن تهز جذع النخلة، بالرغم من ثبات جذع النخلة، وصعوبة هزه، إذ يقول سبحانه لها ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾[22] وهي لم تقم بهز النخلة وهي في ذلك الوضع من الضعف إنما أراد منها فقط بذل السبب بوضع يدها

(٢٠) فاطر: ٤٣.
(٢١) الرعد: ١١.
(٢٢) مريم ٢٥.

علىٰ النخلة، ليتحقق قانون السببية، ولتتحقق سنة الله في التغيير، فإذا بالنتيجة ﴿ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[٢٣].

هذهِ هي سنة الله تعالىٰ في التغيير، فلا يمكن لمؤمن يمكث في بيت من بيوت الله، حتىٰ ولو كان ذلك البيت هوَ مكة المكرمة، فيجلس ويتعبد الله هناك ويطلب من الله الرزق، لا يمكن أن يستجيب الله له دون أن يبذل أسباب كسب الرزق، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة.

فابذلي أسباب الهداية تناليها بإذن الله تعالىٰ، والتي منها الدعاء بالهداية، واختيار الرفقة الصالحة، والإقبال علىٰ كتاب الله تعالىٰ قراءةً وتدبراً، وارتياد مجالس الذكر والمحاضرات الدينية، والاستماع إلىٰ الأشرطة الدينية، وقراءة الكتب الإيمانية، وقبل كل ذلك ترك كل ما يبعدك عن طريق الهداية مثل الرفقة السيئة، وقراءة المجلات الهابطة، ومتابعة البرامج التلفزيونية التي تحث علىٰ العلاقات المحرمة، من الأفلام والمسلسلات وغيرها، والسفر من غير محرم، والعلاقات التلفونية مع الشباب وغيرها من الأمور الصادة عن طريق الهداية.

---

(٢٣) مريم: ٢٥.

* الشبهة الخامسة ـ توقف الزواج:

بعض الأخــوات غير المحجبـات يتحججن بعـدم التزامهن بالحجاب بالخوف من عدم الزواج.

هذهِ الشبهــة التي يلقيها الشيطان في نفوس بعض أخواتنا غير المتحجبات منشؤها أن الشباب لا يتقدم إلا إذا رأىٰ جسم الفتاة وشعرها وزينتها، أما إذا تحجبت أو تنقبت فلا يرىٰ منها ما يجعله يتقدم لها وهذا الاعتقاد ليس مقصــوراً علىٰ تلك الأخـوات، بل الكثـير من الآبـاء والأمهات يعتقدن ذلك، فيعترضون حجاب بناتهم من أجل هذهِ الغاية.

وهذهِ الشبهة مردود عليها من جانبين:

الجانب الأول ـ الجانب النظري المبدئي:

وهــوَ أن الجـمال وإن كان من الأسباب الرئيسة في الزواج، إلا أنه ليس هوَ السبب الوحيد التي تنكح المرأة من أجله، وكما بين الرسول ﷺ الأسباب المتنوعة التي تنكح المرأة من أجلها فقال: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها**

ولحسبها ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٢٤].

وهكذا هم الناس لا ينظرون إلىٰ الجمال فقط، بل هناك أمور تشترك أو تنفرد عن الجمال في اختيار الزوجة. ولكن أولئك الأخوات والآباء والأمهات يفترضون الجمال هوَ كل شيء، أو هوَ الشيء الرئيس الوحيد وما دونه يمكن التنازل عنه، وهذا مخالف لطبائع الناس.

الجانب الثاني ـ الجانب الواقعي:

ولعل التبرج سبب من أسباب عزوف عدد من الشباب من الاقتران ممن تتصف بهذهِ الصفة، ظنًّا منهم بأن مثل هذهِ الفتاة التي فرطت بأمر من أمور الله تعالىٰ وهوَ «الحجاب» لا يستبعد بأن تفرط بغيره، ذلك أن الشيطان له خطوات، وإن كان الواقع في بعض الأحيان لا يوافق هذا الرأي، ولكن هذا هوَ حال معظم شبابنا اليوم، والذي يصر علىٰ الزواج ممن هي ملتزمة بالحجاب، حسنة السمعة، وإن كان هوَ من غير الملتزمين.

---

(٢٤) البخاري (٩/١١٥) في النكاح.

*** الشبهة السادسة ـ «صغر السن»:**

وهذهِ الشبهة أكثر من يرددها ولاة الأمر من الآباء والأمهـات، وبعض الأخـوات غير المحجبـات، وهذهِ الشريحة غالباً ما يكون في نيتها الحجاب، ولكنها تؤخره لهذهِ الشبهة والتي هي أقرب إلىٰ الهوىٰ والشهوة، منها إلىٰ الشبهة.

ويكون الرد غالباً «حرام* حرمانها من التمتع بالحياة، **فهي لا زالت صغـيرة، فالثيـاب الجميلة تستهـويهـا، والتجمل بأنواع التسريحات تغريها، وإظهار محاسنها يحقق لها الكثير من السعادة والنشوة، مما يجعلها أكثر سعادة، وتمتعاً بالحياة، فلماذا نقف في وجهها، ونمنعها السعادة مبكراً، وإذا فاتتنا نحن القطار، فلماذا نجعله يفوتها أيضاً بهذهِ السرعة».**

و«صغر السن» عندهم يمتد حتىٰ العشرين سنة، أما التي تحيض وهي في سن الثالثة عشر، ففي تصورهم أنها طفلة.

---

* حرام بالمعنىٰ العرفي وليس الشرعي.

كلمة لأولياء الأمور . .

إن أولئك الآباء والأمهات الذين يمنعون تحجب بناتهم بحجة صغر السن عليهم مسؤولية عظيمة أمام الله يوم القيامة .

فالفتاة عندما تبلغ الحيض يجب عليها الحجاب شرعاً ، وولي الأمر عندما يمنعها عليه إثم عظيم ، والله سائله يوم القيامة عن ذلك ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[٢٥] ويقول النبي ﷺ : «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[٢٦] فالأب هوَ الراعي الأول في البيت وهوَ مسؤول يوم القيامة عن كل فرد في رعيته .

وليسأل الأب نفسه ، كم ستفتن ابنته من الشباب؟ وكم ستسبب من انحراف لهؤلاء الشباب؟ وكم ستتعرض للإساءة من قبل هؤلاء الشباب؟؟

كلمة حب لأختنا الصغيرة :

يشهد الله تعالىٰ كم نخاف عليك من عقوبة الله تعالىٰ ،

---

(٢٥) الصافات : ٢٤ .

(٢٦) البخاري (١٣/ ١٠٠) في الأحكام ـ وله تكملة .

وكم نحن حريصون أشد الحرص علىٰ تخليصك من كل خطورة تتعرضين لها في الدنيا والآخرة، فهذا هوَ واجب المسلم نحو أخيه المسلم.

ومن هذهِ الخطورات التي تحدث للأخت غير المحجبة في الدنيا والآخرة ما ذكره النبي ﷺ فيما أخرجه الحاكم **«سيكون في آخر أمتي رجال يركبون علىٰ السروج كأشباه الرجال ينزلون علىٰ أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات علىٰ رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، إلعنوهن فإنهن ملعونات»**[٢٧].

أختي الحبيبة غير المحجبة أتعرفين ما معنىٰ «اللعنة»؟؟ اللعنة هي الطرد من رحمة الله تعالىٰ، وفي الحديث الآنف الذكر يأمر النبي ﷺ كل مسلم أن يلعن هذا الصنف من النساء اللواتي يلبسن شيئاً علىٰ أجسادهن ولكنه لا يغطي عوراتهن، فكأنهن عاريات. وحديث آخر يقول فيه النبي ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة**

---

(٢٧) رواه أحمد (٢/٢٢٣) ـ قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح (مجمع الزوائد).

لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»[28] .

وفي هذا الحديث وصف دقيق لهذا الصنف من النساء، فهي :

أ ـ كاسية ببعض الملابس ولكنها شبه عارية لكشف أكثر جسدها، وما يثير الشهوات عند الرجال من الأفخاذ والأرداف والصدر، وما شف عما غطته بالثياب، وما برز وقسم جسدها من الملبس الضيق، فكأنها عارية وإن كانت كاسية . .

ب ـ تتمايل في مشيتها، مميلة بذلك ومحركة للشهوات .

جـ ـ قد ارتفع رأسها بما تصنع فيه من فنون النفش، والقصات الحديثة، وما تضع من الباروكات وكأنها سنام البعير لارتفاعه .

كما أن في الحديث بيان لحقيقة أن هذا الصنف محروم من دخول الجنة، بل وحتىٰ من ريح الجنة، ومع أن رحمة الله تعالىٰ وسعت السموات والأرض، إلا أن رسول الله ﷺ يأمر المسلمين، بأن يدعىٰ علىٰ هذهِ الشريحة بالطرد

---

(٢٨) مسلم : ٢١٢٨ .

من رحمة الله تعالىٰ «**إلعنوهن فإنهن ملعونات**» .

وإننا لا نود لك إلا الخير، والخوف عليك يجعلنا ، نتمنىٰ من أعماق قلوبنا أن يجنبك كل مكروه، وأن يملأ قلبك بنوره الذي لا يخبو، وأن تنتصري علىٰ شياطين الإنس والجن، وتقرري كسر القيود، والتحرر من أسر الهوىٰ والشهوات، وتلجين عالم الحرية والعزة والكرامة والراحة النفسية، وعالم الطهارة والعفة والعفاف.

هل تضمنين عمرك؟؟

أختي غير المحجبة عندما امتنعت من الحجاب بحجة صغر السن، فهل تضمنين عمرك للحظات؟؟ هل تعلمين أو أخبرك أحد بموعد موتك؟؟

وإذا كان الجواب بالنفي، فربما جاءك الموت بعد سنة أو شهر أو أسبوع أو يوم أو ساعة أو دقيقة، كل ذلك محتمل، ما دمنا لا نعلم آجالنا. .

أختي العزيزة الموت لا يطرق أبواب المرضىٰ فحسب، ولا كبار السن، بل يأتي للأصحاء، وللكهول والشباب، وحتىٰ الرضع، والأمثلة من واقعنا كثيرة.

* قصص من الواقع :

* القصة الأولىٰ : الإصابة المفاجئة

عضو مجلس أمة بكامل صحته، وحيويته، ونشاطه وفي ريعان شبابه، يصاب فجأة بفيروس في مخه، فيتحول بلحظات إلىٰ كتلة لحمية لا يعرف من أمر نفسه شيئاً.

* القصة الثانية : الموت لا يعرف صحيحاً ولا سقيماً

ضابط كبير في الجيش «لا يشكو من أي مرض، ممتلىء الجسم» ذو عضلات مفتولة، ونشاط في منطقته، ينام ذات ليلة، وفي الصباح توقظه والدته فإذا به متيبس لا يرد عليها، فقد وافته المنية وهو نائم.

* القصة الثالثة : واحترق صاحبي

قال أبو عبدالله : «لا أعرف كيف أروي لك هذه القصة التي عشتها منذ فترة والتي غيّرت مجرىٰ حياتي كلها، والحقيقة أنني لم أقرر أن أكشف عنها. . إلا من خلال إحساسي بالمسؤولية تجاه الله عز وجل. . ولتحذير بعض

الشباب الذي يعصي ربه. . وبعض الفتيات اللاتي يسعين وراء وهم زائف. . اسمه الحب!

كنا ثلاثة من الأصدقاء. . يجمع بيننا الطيش والعبث! كلا. . بل أربعة. . فقد كان الشيطان رابعنا. .

فكنا نذهب لاصطياد الفتيات الساذجات بالكلام المعسول ونستدرجهن إلىٰ المزارع البعيدة. . وهناك يُفاجأن بأننا قد تحولنا إلىٰ ذئاب لا نرحم توسلاتهن بعد أن ماتت قلوبنا ومات فينا الإحساس!

هكذا كانت أيامنا ولياليبنا في المزارع، في المخيمات. . والسيارات علىٰ الشاطيء! إلىٰ أن جاء اليوم الذي لا أنساه! ذهبنا كالمعتاد للمزرعة. . كان كل شيء جاهزاً. . الفريسة لكل واحد منا، الشراب الملعون. . شيء واحد نسيناه هو الطعام. . وبعد قليل ذهب أحدنا لشراء طعام العشاء بسيارته كانت الساعة السادسة تقريباً عندما انطلق ومرت الساعات دون أن يعود. . وفي العاشرة شعرت بالقلق عليه فانطلقت بسيارتي أبحث عنه. . وفي الطريق شاهدت بعض ألسنة النار تندلع علىٰ جانبي الطريق. . وعندما وصلت فوجئت بأنها سيارة صديقي والنار تلتهمها وهي مقلوبة علىٰ أحد جانبيها. . أسرعت كالمجنون أحاول

إخراجه من السيارة المشتعلة. . وذهلت عندما وجدت نصف جسده وقد تفحم تماماً لكنه كان ما يزال علىٰ قيد الحياة فنقلته إلىٰ الأرض. . وبعد دقيقة فتح عينيه وأخذ يهذي. . النار. . النار.

فقررت أن أحمله بسيارتي وأسرع به إلىٰ المستشفىٰ لكنه قال لي بصوت باكٍ: لا فائدة. . لن أصل. .

فخَنَقَتْني الدموع وأنا أرىٰ صديقي يموت أمامي. . وفوجئت به يصرخ: ماذا أقول له: ماذا أقول له؟ نظرت إليه بدهشة وسألته: من هو؟ قال بصوت كأنه قادم من بئر عميق: الله.

أحسست بالرعب يجتاح جسدي ومشاعري وفجأة أطلق صديقي صرخة مدوية. . ولفظ آخر أنفاسه. . ومضت الأيام لكن صورة صديقي الراحل وهو يصرخ والنار تلتهمه. ماذا أقول له. . ماذا أقول له؟

ووجدت نفسي أتساءل: وأنا. . ماذا سأقول له؟ فاضت عيناي واعترتني رعشة غريبة. . وفي نفس اللحظة سمعت المؤذن لصلاة الفجر ينادي: الله أكبر الله أكبر. . أشهد أن لا إله إلا الله. . أشهد أن محمداً رسول الله. . حي علىٰ الصلاة. . أحسست أنه نداء خاص بي يدعوني

لأسدل الستار علىٰ فترة مظلمة من حياتي. . يدعوني إلىٰ طريق النور والهداية. . فاغتسلت وتوضأت وطهرت جسدي من الرذيلة التي غرقت فيها لسنوات. . وأديت الصلاة. . ومن يومها لم يفتني فرض!

وأحمد الله الذي لا يُحمد سواه. . لقد أصبحت إنساناً آخر وسبحان مُغير الأحوال. . وبإذن الله تعالىٰ أستعد للذهاب لأداء العمرة. . وإن شاء الله الحج فمن يدري. . الأعمار بيد الله سبحانه وتعالىٰ. .»[٢٩].

* القصة الرابعة: خاتمتان متناقضتان

عشت مرحلتي الدراسية الأولىٰ مع والدي. .

في بيئة صالحة أسمع دعاء أمي وأنا عائد من سهري آخر الليل.

أسمع صوت أبي في صلاته الطويلة. . طالما كنت أقف متعجباً من طولها. . خاصة عندما يحلو النوم أيام الشتاء البارد. .

أتعجب في نفسي وأقول. . ما أصبره. . كل يوم هكذا. . شيء عجيب.

---

(٢٩) للشباب فقط (ص٧-١٠).

لم أكن أعرف أن هذه هي راحة المؤمن وأن هذه هي صلاة الأخيار. . يهبُون من فرشهم لمناجاة الله. .

بعد المرحلة التي قطعتها في دراستي العسكرية. . ها قد كبرت وكبر معي بعدي عن الله. .

علىٰ الرغم من النصائح التي أسمعها وتَطرقُ مسامعي بين الحين والآخر. .

عُينت بعد تخرجي في مدينة غير مدينتي وتبعد عنها مسافة بعيدة. . ولكن معرفتي الأولىٰ بزملائي في العمل خففت ألم الغربة علىٰ نفسي. .

انقطع عن مسامعي صوت القرآن. . انقطع صوت أمي التي توقظني للصلاة وتحثني عليها. . أصبحت أعيش وحيداً. . بعيداً عن الجو الأسري الذي عشته من قبل. .

تم توجيهي للعمل في مراقبة الطرق السريعة. . وأطراف المدينة للمحافظة علىٰ الأمن ومراقبة الطرق ومساعدة المحتاجين. . كان عملي متجدداً وعشت مرتاحاً. . أؤدي عملي بجد وإخلاص. . ولكني عشت مرحلة متلاطمة الأمواج. .

تتقاذفني الحيرة في كل اتجاه. . لكثرة فراغي. . وقلة معارفي.

وبدأت أشعر بالملل. . لم أجد من يعينني علىٰ ديني. . بل العكس هو الصحيح. .

من المشاهد المتكررة في حياتي العملية الحوادث والمصابين. . ولكن كان يوماً مميزاً. .

في أثناء عملنا توقفت أنا وزميلي علىٰ جانب الطريق. . نتجاذب أطراف الحديث.

فجأة سمعنا صوت ارتطام قوي. .

أدرنا أبصارنا. . فإذا بها سيارة مرتطمة بسيارة أخرىٰ كانت قادمة من الاتجاه المقابل. . هببنا مسرعين لمكان الحادث لإنقاذ المصابين. .

حادث لا يكاد يوصف. . شخصان في السيارة في حالة خطيرة. . أخرجناهما من السيارة. . ووضعناهما ممددين. .

أسرعنا لإخراج صاحب السيارة الثانية. . الذي وجدناه فارق الحياة. . عدنا للشخصين فإذا هما في حال الاحتضار. .

هب زميلي يلقنهما الشهادة . .

قولوا لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله . .

لكن ألسنتهما ارتفعت بالغناء . . أرهبني الموقف . . وكان زميلي علىٰ عكسي يعرف أحوال الموت . . أخذ يعيد عليهما الشهادة . .

وقفت منصتاً . . لم أحرك ساكناً شاخص العينين أنظر . . لم أر في حياتي موقفاً كهذا . . بل قل لم أر الموت من قبل وبهذه الصورة . . أخذ زميلي يردد عليهما كلمة الشهادة . . وهما مستمران في الغناء . .

لا فائدة . .

بدأ صوت الغناء يخفت . . شيئاً فشيئاً . . سكت الأول وتبعه الثاني . . لا حراك . .

* فارقا الدنيا .

حملناهما إلىٰ السيارة . . وزميلي مطرق لا ينبس ببنت شفه . . سرنا مسافة قطعها الصمت المطبق . .

قطع هذا الصمت صوت زميلي فذكر لي حال الموت وسوء الخاتمة . . وإن الإنسان يختم له إما بخير أو شر . .

وهذا الختام دلالة لما كان يعمله الإنسان في الدنيا غالباً. .
وذكــر لي الـقـصص الـكثـيرة التي رويت في الكتب الإسلامية. . وكيف يختم للمرء علىٰ ما كان عليه بحسب ظاهره وباطنه. .

قطعنا الطريق إلىٰ المستشفىٰ في الحديث عن الموت والأموات. . وتكتمل الصورة عندما أتذكر أننا نحمل أمواتاً بجوارنا. .

خفت من الموت واتعظت من الحادثة. . وصليت ذلك اليوم صلاة خاشعة. .

ولكن نسيت هذا الموقف بالتدريج. .

بدأت أعـود إلىٰ ما كنت عليه. . وكـأني لم أشاهد الرجلين وما كان منهما. . ولكن للحقيقة أصبحت لا أحب الأغاني. . ولا أتلهف عليها كسابق عهدي. . ولعل ذلك مرتبط بسماعي لغناء الرجلين حال احتضارهما. .

* مَن عجائب الأيام. .

بعـد مدة تزيد علىٰ ستـة أشهـر. . حصل حادث عجيب. . شخص يسير بسيارته سيراً عادياً. . وتعطلت سيارته. . في أحد الأنفاق المؤدية إلىٰ المدينة. .

ترجل من سيارته.. لإصلاح العطل في أحد العجلات.. عندما وقف خلف سيارته.. لكي ينزل العجلة السليمة..

جاءت سيارة مسرعة.. وارتطمت به من الخلف.. سقط مصاباً إصابات بالغة..

حضرت أنا وزميل آخر غير الأول.. وحملناه معنا في السيارة وقمنا بالاتصال بالمستشفىٰ لاستقباله..

شاب في مقتبل العمر.. متدين يبدو ذلك من مظهره..

عندما حملناه سمعناه يهمهم.. ولعجلتنا في سرعة حَملِه لم نميز ما يقول.

ولكن عندما وضعناه في السيارة وسرنا..

سمعنا صوتاً مميزاً..

إنه يقرأ القرآن.. وبصوت ندي.. سبحان الله لا تقول هذا مصاب..

الدم قد غطىٰ ثيابه.. وتكسرت عظامه.. بل هو علىٰ ما يبدو علىٰ مشارف الموت..

* استمر يقرأ بصوت جميل.. يرتل القرآن..

لم أسمع في حياتي مثل تلك القراءة.. كنت أحدث نفسي وأقول سألقنه الشهادة مثل ما فعل زميلي الأول.. خاصة وأن لي سابق خبرة كما أدعي..

أنصتُ أنا وزميلي لسماع ذلك الصوت الرخيم..
أحسست أن رعشة سرت في جسدي.. وبين أضلعي..

فجأة.. سكت ذلك الصوت.. التفت إلىٰ الخلف.. فإذا به رافع أصبع السبابة يتشهد..

ثم انحنىٰ رأسه..
قفزت إلىٰ الخلف..
لمست يده..
قلبه..
أنفاسه..
لا شيء..
فارق الحياة..

نظرت إليه طويلاً.. سقطت دمعة من عيني.. أخفيتها من زميلي.. التفت إليه وأخبرته أن الرجل قد

مات. . انطلق زميلي في البكاء. . أما أنا فقد شهقت شهقة وأصبحت دموعي لا تقف. . أصبح منظرنا داخل السيارة مؤثراً. .

وصلنا المستشفىٰ. .

أخبرنا كل من قابلنا عن قصة الرجل. . الكثير تأثروا من حادثة موته وذرفت دموعهم. . أحدهم بعدما سمع قصة الرجل ذهب وقبل جبينه. .

الجميع أصروا علىٰ عدم الذهاب حتىٰ يعرفوا متىٰ يُصلىٰ عليه ليتمكنوا من الصلاة عليه.

اتصل أحد الموظفين في المستشفىٰ بمنزل المتوفىٰ. . كان المتحدث أخوه. . قال عنه. . أنه يذهب كل اثنين لزيارة جدته الوحيدة في القرية. . كان يتفقد الأرامل والأيتام. . والمساكين. . كانت تلك القرية تعرفه فهو يحضر لهم الكتب والأشرطة الدينية. . وكان يذهب وسيارته مملوءة بالأرز والسكر لتوزيعها علىٰ المحتاجين. . وحتىٰ حلوىٰ الأطفال لا ينساها ليفرحهم بها. . وكان يرد علىٰ من يثنيه عن السفر ويذكر له طول الطريق. . إنني استفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعته. . وسماع الأشرطة والمحاضرات الدينية. . وإنني احتسب إلىٰ الله كل خطوة

أخطوها.. من الغد.. غص المسجد بالمصلين.. صليت عليه مع جموع المسلمين الكثيرة.. وبعد أن انتهينا من الصلاة حملناه إلىٰ المقبرة.. أدخلناه في تلك الحفرة الضيقة..

* وجهوا وجهه للقبلة..

بسم الله وعلىٰ ملة رسول الله..
بدأنا نهيل عليه التراب..
اسألوا لأخيكم التثبيت فإنه يسأل..

استقبل أول أيام الآخرة.. وكأنني استقبلت أول أيام الدنيا.. تبت مما عملت عسىٰ الله أن يعفو عما سلف وأن يثبتني علىٰ طاعته وأن يختم لي بخير.. وأن يجعل قبري وقبر كل مسلم روضة من رياض الجنة[٣٠]..

---

(٣٠) الزمن القادم (ص٣٦-٤٢).

* القصة الخامسة: السفر البعيد

بدت أختي شاحبة نحيلة الجسم.. ولكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم..

تبحث عنها تجدها في مصلاها.. راكعة ساجدة رافعة يديها إلىٰ السماء.. هكذا في الصباح وفي المساء وفي جوف الليل لا تفتر ولا تمل..

كنت أحرص علىٰ قراءة المجلات الفنية والكتب ذات الطابع القصصي.. أشاهد الفيديو بكثرة لدرجة أنني عُرفتُ به.. ومن أكثر من شيء عُرِفَ به.. لا أؤدّي واجباتي كاملة ولست منضبطة في صلواتي..

بعد أن أغلقت جهاز الفيديو وقد شاهدت أفلاماً متنوعة لمدة ثلاث ساعات متواصلة.. ها هو الأذان يرتفع من المسجد المجاور..

* عدت إلىٰ فراشي..

تناديني من مصلاها.. نعم ماذا تريدين يا نورة؟

قالت لي بنبرة حادة: لا تنامي قبل أن تُصلي الفجر. .

أوه. . بقي ساعة علىٰ صلاة الفجر وما سمعتيه كان الأذان الأول. .

بنبرتها الحنونة ـ هكذا هي حتىٰ قبل أن يصيبها المرض الخبيث وتسقط طريحة الفراش. . نادتني. . تعالي يا هناء بجانبي. .

لا أستطيع إطلاقاً رد طلبها. . تشعر بصفائها وصدقها. .

لا شك طائعاً ستلبي. .

ماذا تريدين. .

اجلسي. .

ها قد جلست ماذا لديك. .

بصوت عذب رخيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ﴾[31].

سكتت برهة. . ثم سألتني. .

ألم تؤمني بالموت؟

---

(٣١) آل عمران: ١٨٥.

بلىٰ مؤمنة . .

ألم تؤمني بأنك ستحاسبين علىٰ كل صغيرة وكبيرة . .

بلىٰ . . ولكن الله غفور رحيم . . والعمر طويل . .

يا أختي . . ألا تخافين من الموت وبغتته . .

انظري هند أصغر منك وتوفيت في حادث سيارة . . وفلانة . . وفلانة . .

الموت لا يعرف العمر . . وليس مقياساً له . .

أجبتها بصوت الخائف حيث مصلاها المُظلم .

إنني أخاف من الظلام وأخفتيني من الموت . . كيف أنام الآن . . كنت أظن أنك وافقت للسفر معنا هذه الإجازة . .

فجأة . . تحشرج صوتها واهتز قلبي . .

لعل هذه السنة أسافر سفراً بعيداً . . إلىٰ مكان آخر . . ربما يا هناء . . الأعمار بيد الله . . وانفجرت بالبكاء . .

تفكرت في مرضها الخبيث و أن الأطباء أخبروا أبي سرًّا أن المرض ربما لن يمهلها طويلاً . . ولكن من أخبرها بذلك . . أم أنها تتوقع هذا الشيء . .

ما لك تفكرين؟ جاءني صوتها القوي هذه المرة . . ؟

هل تعتقدين أني أقول هذا لأنني مريضة؟
كلا.. ربما أكون أطول عمراً من الأصحاء..

وأنت إلىٰ متىٰ ستعيشين.. ربما عشرون سنة.. ربما أربعون.. ثم ماذا.. لمعت يدها في الظلام وهزتها بقوة..

لا فرق بيننا كلنا سنرحل وسنغادر إما إلىٰ جنة أو إلىٰ نار. ألم تسمعي قول الله ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٣٢].

تصبحين علىٰ خير.

هرولتُ مسرعة وصوتها يطرق أذني.. هداك الله.. لا تنسي الصلاة..

الثامنة صباحاً..

أسمعُ طرقاً علىٰ الباب.. هذا ليس موعد استيقاظي.. بكاء.. وأصوات.. يا إلهي ماذا جرىٰ..

لقد تردت حالة نورة.. وذهب بها أبي إلىٰ المستشفىٰ.. إنا لله وإنا إليه راجعون..

---

(٣٢) آل عمران: ١٨٥.

لا سفر هذه السنة . . مكتوب عليّ البقاء هذه السنة في بيتنا.

بعد انتظار طويل . .

عند الساعة الواحدة ظهراً . . هاتفنا أبي من المستشفىٰ . . تستطيعون زيارتها الآن هيا بسرعة . .

أخبرتني أمي أن حديث أبي غير مطمئن وأن صوته متغير . .

عباءتي في يدي . .

أين السائق . . ركبنا علىٰ عجل . . أين الطريق الذي كنت أذهب لأتمشىٰ مع السائق فيه يبدو قصيراً . . ما له اليوم طويل . . وطويل جداً . .

أين ذلك الزحام المحبب إلىٰ نفسي كي التفت يمنة ويسرة . . زحام أصبح قاتلاً ومملاً . .

أمي بجواري تدعو لها . . إنها بنت صالحة ومطيعة . . لم أرها تضيع وقتها أبداً . .

دلفنا من الباب الخارجي للمستشفىٰ . .

هذا مريض يتأوه . . وهذا مصاب بحادث سيارة . .

وثالث عيناه غائرتان.. لا تدري هل هو من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة..

منظر عجيب لم أره من قبل..

صعدنا درجات السلم بسرعة..

إنها في غرفة العناية المركزة.. وسآخذكم إليها.. ثم واصلت الممرضة إنها بنت طيبة وطمأنت أمي أنها في تحسن بعد الغيبوبة التي حصلت لها..

ممنوع الدخول لأكثر من شخص واحد..

هذه هي غرفة العناية المركزة..

وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصغيرة التي في باب الغرفة أرى عيني أختي نورة تنظر إلي وأمي واقفة بجوارها.. بعد دقيقتين خرجت أمي التي لم تستطع إخفاء دموعها..

سمحوا لي بالدخول والسلام عليها بشرط أن لا أتحدث معها كثيراً.. دقيقتين كافية لك..

كيف حالك يا نورة..

لقد كنت بخير مساء البارحة.. ماذا جرى لك..

أجابتني بعد أن ضغطت علىٰ يدي: وأنا الآن ولله الحمد بخير. الحمد لله ولكن يدك باردة..

كنت جالسة علىٰ حافة السرير ولامست ساقها.. أبعدته عني.. آسفة إذا ضايقتك.. كلا ولكني تفكرت في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾[٣٣] عليك يا هناء بالدعاء لي فربما استقبل عن قريب أول أيام الآخرة..

سفري بعيد وزادي قليل..

سقطت دمعة من عيني بعد أن سمعت ما قالت وبكيت.. لم أعِ أين أنا..

استمرت عيناي في البكاء.. أصبح أبي خائفاً عليّ أكثر من نورة.. لم يتعودوا هذا البكاء والانطواء في غرفتي..

* مع غروب شمس ذلك اليوم الحزين..

ساد صمت طويل في بيتنا..
دخلت عليّ ابنة خالتي.. ابنة عمتي..
أحداث سريعة..

---

(٣٣) القيامة: ٢٩.

كثر القادمون.. اختلطت الأصوات.. شيء واحد عرفته..

نورة ماتت..

لم أعد أُميز من جاء.. ولا أعرف ماذا قالوا..

يا الله.. أين أنا وماذا يجري.. عجزت حتىٰ عن البكاء.. فيما بعد أخبروني أن أبي أخذ بيدي لوداع أختي الوداعٍ الأخير.. وأني قبلتها.. لم أعد أتذكر إلا شيئاً واحداً.. حين نظرت إليها مسجاه.. علىٰ فراش الموت.. تذكرت قولها ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩﴾[٣٤] عرفت حقيقة أن ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾[٣٥].

لم أعرف أنني عدت إلىٰ مصلاها إلا تلك الليلة..

وحينها تذكرت من قاسمتني رحم أمي فنحنٍ توأمين.. تذكرت من شاركتني همومي.. تذكرت من نَفّست عني كربتي.. من دعت لي بالهداية.. من ذرفت دموعها ليالي طويلة وهي تحدثني عن الموت والحساب.. الله المستعان..

هذه أول ليلة لها في قبرها.. اللهم ارحمها ونور لها

---

(٣٤) القيامة: ٢٩.

(٣٥) القيامة: ٢٩.

قبرها . . هذا هو مصحفها . . وهذه سجادتها . . وهذا . . وهـذا . . بل هذا هو الفستان الوردي الذي قالت لي سأخبئه لزواجي . .

تذكرتها وبكيت علىٰ أيامي الضائعة . . بكيت بكاء متـواصلاً . . ودعوت الله أن يرحمني ويتوب عليّ ويعفو عني . . دعوت الله أن يثبتها في قبرها كما كانت تحب أن تدعو . .

* فجأة سألت نفسي ماذا لو كانت الميتة أنا؟ ما مصيري . . ؟

لم أبحث عن الإجابة من الخوف الذي أصابني . . بكيت بحرقة . .

الله أكبر . . الله أكبر . . ها هو أذان الفجر قد ارتفع . . ولكن ما أعذبه هذه المرة . .

أحسست بطمأنينة وراحة وأنا أردد ما يقوله المؤذن . . لفلفت ردائي وقمت واقفة أصلي صلاة الفجر . . صليت صلاة مودع . . كما صلتها أختي من قبل وكانت آخر صلاة لها . .

إذا أصبحتُ لا أنتظرُ المساء . .
وإذا أمسيتُ لا أنتظرُ الصباح[٣٦] . .

---

(٣٦) الزمن القادم (ص٦-١٢).

* الشبهة السابعة ـ موضة وليست حجاباً:

وتردد بعض الأخوات الفاضلات من غير المحجبات، شبهة مؤداها أنه لا يوجد هناك حجاب حقيقي، وإنما هي موضة، وما دامت موضة، فلماذا ألزم بفعلها، ثم تذكر لك وقائع كثيرة، ومشاهدات منحرفة لبعض المحجبات اللاتي تعرفهن.

ولا بد أن نستعرض أنواع المحجبات قبل الرد علىٰ هذهِ الشبهة وهن ستة أنواع:

١) تتحجب من أجل ستر بعض العيوب الجسمانية.

٢) تتحجب من أجل الزواج، لأن غالب الشباب سواءاً المتدين وغيره يفضل المحجبة، كما بينا من قبل.

٣) تتحجب من أجل التستر علىٰ بعض الأعمال التي نهىٰ الله عنها، وهي بالحجاب تكسب ثقة أهلها بها، فلا تصبح موضع شبهة، وبالتالي تستطيع أن تخرج متىٰ شاءت وإلىٰ أي مكان دون أن يعترضها أحد.

٤) تتحجب من أجل مسايرة الموضة، وهوَ ما يطلق عليه

«بالحجاب الفرنسي» حيث أظهرت شيئاً من خصلات شعرها، وبدىٰ نحرها، وارتدت فستاناً قد يصل إلىٰ نصف ساقها، وأظهر معالم جسدها، وقد يكون دقيقاً يشف عن الكثير، وأحياناً يحل البنطلون محل الفستان، ولتكملة «الموضة» يطلين الوجه بأنواع المساحيق، وتسكب كمية لا بأس بها من العطر، حتىٰ ليتعطر الطريق برائحتها.

هذهِ الفتاة قد رفضت ما شرعه المولىٰ عز وجل من الحجاب الشرعي، واعتقدت بأفضلية ما شرعه العباد أمثال «كرست أنديور» و«فالنتينو» و«سان لوران» و«شانال» و«كارتير» وغيرهم ممن غضب الله عليهم من الكفرة.

٥) تكون مجبرة عليه من والديها المتدينين، أو عائلتها المحافظة، فتلبسه مكرهة، غير راغبة به، ولكنها تخاف نزعه مما سيلحق بها من أذىٰ من أهلها: لذلك فهذا الصنف من النساء، ما أن ترىٰ فسحة لا يراها فيها الرقيب حتىٰ تنزع كل شيء، لأنها غير مقتنعة ومؤمنة بالحجاب.

٦) الحجاب الشرعي الصحيح.

وهي التي تلبس الحجاب الشرعي، مؤمنة بوجوبه، خائفة من نزعه، تريد بذلك وجه الله لا وجه المخلوق، وتكون ملتزمة بالمواصفات الشرعية للحجاب وهي :

١) أن يكون فضفاضاً لا يقسم جزءاً من الجسد.
٢) سميكاً لا يشف شيئاً من جسدها.
٣) خالياً من العطور والبخور والمكياج.
٤) لا يشابه لباس الكافرات، من أجل مخالفتهن.
٥) ألا يوجد فيه لون صارخ ملفت للأنظار، أو يكون زينة في نفسه.
٦) أن يكون مستوعباً لجميع الجسد، ما عدا الوجه والكفين في قول، وكل الجسد في قول آخر.
٧) ألا يشبه لباس الرجال، لورود النهي عن التشبه بالرجال.
٨) ألا يكون لباس شهرة، لئلا تغتر به فيحصل التفاخر المنهي عنه[٣٧].

فإذا كانت هذهِ الأنواع جميعها ما عدا النوع السادس، لم تبتغي وجه الله في حجابها، فلا يعني أنه لا يوجد من يريد وجه الله في الحجاب، فكوني من ذلك الصنف الذي التزم لوجه الله تعالىٰ، وطلباً لرضاه، وخوفاً من سخطه.

---

(٣٧) يراجع كتاب حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة =

* الشبهة الثامنة ـ الحرمان من الزينة:

وهذهِ أيضاً ليست بشبهة، إنما هي من صنف الشهوة أو الهوىٰ المانع من الالتزام بالحجاب.

والسؤال الذي يفرض نفسه أمام هذهِ الشهوة، لمن تتبرجين؟؟ ولمن تتزينين؟؟.

وإذا كان الجواب، بأني أتبرج وأتزين حتىٰ يرىٰ الجميع جمالي وقوامي.

فهل تقبلين أن يرىٰ هذا الجمال الداني والقاصي؟؟

وهل تقبلين أن تكوني سلعة رخيصة يعاينها الجميع، الخسيس والكريم؟؟

كيف تسلمين جسدك لعيون الذئاب البشرية؟؟

أتقبلين أن تكوني رخيصة إلىٰ هذهِ الدرجة؟؟!

* قصة واقعية:

زارت إحدىٰ الراقصات من الفنانات المشهورات دولة

= للألباني، وكتاب إلىٰ كل فتاة تؤمن بالله للبوطي.

من دول الخليج، للمساهمة في إحياء بعض الليالي في بعض المناسبات، فقررت إحدىٰ الصالحات أن تحدثها بالهاتف تأمرها بالمعروف وتنهاها عن المنكر، فبحثت عن رقم الهاتف في الفندق التي تقطن فيه تلك الفنانة، حتىٰ عثرت عليه.

إتصلت بها وعلىٰ الهاتف جرت هذهِ المحاورة «بما معناها»:

الأخت ـ أهلاً وسهلاً في بلادنا، ونحن فرحين إذ نراك علىٰ أرضنا، وأرجو منك السماح لي بسؤال.
الفنانة ـ تفضلي بكل سرور.
الأخت ـ إذا كان لديك شيء ثمين أين تضعيه؟
الفنانة ـ في مكان خاص، وأغلق عليه حتىٰ لا يأخذه أحد.
الأخت ـ وإذا كان هذا الشيء ثمين جداً، فأين تخبئينه؟
الفنانة ـ في مكان خاص جدًّا، بحيث لا تصل إليه يد.
الأخت ـ ما هوَ أغلىٰ ما تملك المرأة؟؟
الفنانة ـ مترددة بالإجابة.
الأخت ـ أليست عفتها هي أغلىٰ ما تملك؟؟
الفنانة ـ نعم.. نعم، أثمن ما تملك المرأة عفتها.
الأخت ـ فهل هذا الشيء الثمين يجوز أن يعرض للجميع.

هنا انتبهت الفنانة لمغزىٰ الحوار، وقالت بإعجاب شديد، وكأن صارخاً في فطرتها، صرخ صرخة عالية هزت كيانها، وأيقظتها من سباتها.

الفنانة ـ هذهِ أول مرة في حياتي أسمع مثل هذا الكلام، ولا بد أن أراك حالاً، ولا بد أن أستمع إلىٰ المزيد من هذا الكلام. (انتهىٰ).

أختي العزيزة الغالية ـ وإذا كنت تتبرجين وتتزينين من أجل الزوج، أو الصديقات، فليس في الدين حرج من ذلك، إذا لم يكن هذا التبرج خارج إطار منزل الزوجية، وأمام الصديقات يجوز التبرج إذا كانت الجلسة محفوفة بالنساء، علىٰ ألا تظهر العورات التي لا يجوز أن تراها المرأة من المرأة، والتي هي من السرة إلىٰ الركبة.

*** مثال من الواقع:**

أختي الغالية: هل يمر في ذاكرتك كيف يقلب المشتري السلعة التي يريد شراءها، وبعد أن تعجبه يطلب من البائع أن يعطيه سلعة أخرىٰ من نفس النوع المصفوف علىٰ الرف، والذي لم تمسه الأيدي؟؟

تدبري هذا المثل جيداً وستدركين كم ستكونين غالية ثمينة عندما تخفين ما أمرك الله بإخفائه.

* الشبهة التاسعة ـ الحجاب يعطل نصف المجتمع:

لهذهِ الشبهة لا ترددها النساء، بل يرددها العلمانيون ومن دأب دأبهم، فهم يقولون بأن حجاب المرأة يعطل نصف المجتمع، إذ أن الإسلام يأمرها أن تبقىٰ في بيتها.

ولهذهِ الشبهة التي نسمعها بين الفينة والأخرىٰ ردود كثيرة منها.

١) أن الأصل في المرأة أن تبقىٰ في بيتها، إذ يقول تعالىٰ:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[٣٨].

ولا يعني هذا الأمر إهانة للمرأة، وتعطيلاً لطاقتها، بل هوَ التوظيف الأمثل لطاقتها.

٢) الإسلام ينظر إلىٰ تربية الأبناء وإعطاؤهم القيم والآداب والرعاية من أهم واجبات المرأة، والاحصائيات العالمية والمحلية كلها تفيد بأن حالاتِ

---

(٣٨) الأحزاب: ٣٣.

الانحراف بين الشباب السبب الرئيس فيها هوَ التفكك الأسري، وعدم الرعاية الكافية للأبناء.

٣) الإسلام لم يجعل الإنفاق من واجبات المرأة، بل جعله من واجبات الرجل، لذلك كان من الطبيعي أن الذي يخرج للعمل هو الرجل، لتتفرغ المرأة لما هوَ أهم بكثير من العمل الخارجي. ولأكبر وظيفة في المجتمع وهي تربية الأجيال الذين علىٰ كواهلهم تبنىٰ المجتمعات وتزدهر.

٤) الإسلام يحرص أشد الحرص علىٰ حماية المجتمع من الإنهيار، واختلاط الرجال بالنساء، بسبب بعض المشاكل التي تضعف المجتمع، وتعرض المرأة للأذىٰ من بعض ضعاف النفوس، وتشغل نفوس الأيامىٰ من الطرفين بما لا يعود علىٰ المجتمع بأي خير. خاصة إذا تفشىٰ التبرج والزينة بين النساء.

٥) الإسلام لا يمنع عمل المرأة، بل يجعله واجباً إذا كانت في التخصصات التي يحتاجها المجتمع، لكي يرفع الحرج، ويمنع الاضطرار لكشف المرأة عورتها للرجال الأجانب، مثل أن تعمل كطبيبة للنساء، ومدرسة، ومصورة للأشعة للنساء، ومولدة وغيرها مما يخص النساء.

٦) وفي حالة الاضطرار فإن الإسلام لا يمنع المرأة من العمل، ما دامت تتمسك بالآداب الشرعية كإذن وليها أو عدم الاختلاط بالرجال والخلوة بهم، وألا يكون عملها فيه معصية، وأن يكون عملها عملاً مشروعاً، وألا يخرج عملها علىٰ العرف ولا علىٰ طبيعة المرأة، وألا تكون الوظيفة معطلة لعمل الأم في بيتها، وما شابهها من شروط[٣٩].

---

(٣٩) يراجع كتاب «رسائل إلىٰ المرأة المسلمة» لخالد الحمادي - (ص١٠٥-١٢٤).

* الشبهة العاشرة ـ الحجاب مظهر غير حضاري:

يقولون أن شكل الحجاب الخارجي مظهر من مظاهر التخلف في المجتمعات، وهوَ مظهر غير حضاري، فما معنىٰ لهذهِ الخيام السوداء المتحركة، وهذهِ الغربان، وهوَ عودة إلىٰ البدائية في المجتمعات الإنسانية.

* مصطلحات خاطئة:

وهذهِ شبهة ساقطة في ذاتها، حيث أن التقدم لا يقاس بالمظاهر الخارجية، مثل اللباس والبناء والدواب، والزخارف وغيرها من الأمور الظاهرية. والذي يقيس تقـدم المجتمعات بهذهِ المظاهر الخارجية، فإنه فاقد للموضوعية والمنطق.

والحضارة كلمة تطلق علىٰ مجموع الأخلاق والسلوك والقيم لأمة من الأمم، أما المظاهر الخارجية فلا علاقة لها بالحضارة، بل هي من «المدنية».

* أمثلة من الواقع:

ومثالاً علىٰ ذلك، عند الذهاب إلىٰ أمريكا، فإن

المرء يلمس ويشاهد تقديس الحرية من قبل الجميع الحاكم والمحكوم. حتىٰ بنوا تمثالاً في وسط أكبر المدن الأمـريكية يمثل «الحرية». فيستطيع أي مواطن في أمريكا انتقاد من يشاء، من رئيس الولايات المتحدة حتىٰ أصغر موظف، دون أن يؤاخذ أو يعاقب، أو يلام من قبل أحد، والحرية قيمة من القيم.

ولـذلك فإن أمريكا أصبحت قائدة العالم ليست بتكنلوجيتها فحسب، بل بما تملك من قيم إنسانية تحافظ عليها الحكومة قبل الشعب، بل إن الحكومات المتعاقبة يتعلق نجاحها أو سقوطها بمقدار الاحترام لهذهِ القيم، وتطبيقها لها. ومثال آخر في أي دولة أوربية، عنـدما تذهب إلىٰ أي محطة للحافلات، فإنك تجد جدولاً معلقـاً فيه مواعيد وصـول الحـافلات طوال الأسبوع بالساعة والدقيقة. فمثلاً، يكتبون موعد أول حافلة يوم الاثنين هوَ الساعة ٦,٤٥ صباحاً. فيذهب المواطن هناك فيجد الحافلة تأتي بالدقيقة تماماً دون تأخير دقيقة واحدة، ولو أنه تأخر دقائق قليلة لرأيت الشكاوي من كل مكان عليه، وربما فصل من عمله، وربما أحدث ذلك ضجة إعلامية كبيرة في المجتمع. «فاحترام المواعيد» قيمة من القيم، وبالتالي مقياس تقدم أوربا

وحضارتها ليس بما تملك من تكنلوجيا فحسب بل بما تملك من قيم ومبادىء تحافظ عليها.

وبالمقارن فإن مجتمعاتنا تعد مجتمعات متخلفة، لا بسبب عدم امتلاكنا للتكنلوجيا فقط، إنما بسبب تخلينا عن القيم والمبادىء، والتي مصدرها ديننا العظيم، لذلك فإن مجتمعاتنا تعد من أكثر المجتمعات انتشاراً للظلم، وامتهاناً للحقوق الأساسية للإنسان، ومن أكثر المجتمعات تخلفاً بالأخذ بالنظام، والأخذ بالشورىٰ، والاستماع للرأي الآخر، وغيرها من القيم. وعلىٰ هذا فإن الالتزام بالحجاب الإسلامي يعد خطوة إلىٰ الأمام علىٰ طريق بناء الحضارة، لأنه خلق وسلوك وقيمة نابعة من ديننا الحنيف، وليس كما يزعمون، صورة ومظهر غير حضاري.

* الشبهة الحادية عشر: والداي وزوجي يمنعاني:

الأصل في هذهِ القضية أن طاعة الله تعالىٰ مقدمة علىٰ طاعة كل مخلوق كائناً من كان، وأن الوالدين هما أحق بالطاعة من غيرهما بعد الله تعالىٰ ما لم يأمرا بمعصية.

الأمر الآخر أن معصية ولي الأمر فيما يأمر به الله تعالىٰ، تعتبر من أكبر القربات لله تعالىٰ، كما أنها تعتبر دعوة حية لولي الأمر.

الأمر الثالث، أن ولي الأمر سواءاً أكان أباً أو زوجاً، إذا ما رأىٰ إصرار من هو مسؤول عنه، فإنه غالباً ما يرضخ للواقع، ويحترم اختيار من هوَ مسؤول عنه، إلا إذا كان لا يوجد في قلبه حقيقة الحب لمن هوَ مسؤول عنه، ونستعرض ها هنا بعض فتاوىٰ كبار العلماء عن هذهِ القضية.

السؤال الأول ـ يجيب عليه فضيلة الشيخ بن باز.

س: ما حكم من خالفت أمها في عدم طاعتها في حالة إذا كانت الأم تطلب شيئاً فيه معصية الله عز وجل كأنْ تطلب التبرج والسفور وتدعي بأنَّ الحجاب هذا هو خرافات وليس له واقع في الدين وتطلب مني الخروج إلىٰ حفلات واللبس من الملابس الذي يخرج ويبرز جميع ما حرمه الله في المرأة وتغضب عندما تراني متحجبة.

ج: إنه لا طاعة للمخلوق سواء كان أباً أو أمًّا أو غيرهما في معصية الخالق. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**» وقال ﷺ: «**لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق**» وهذه الأمور التي تدعو إليها أم السائلة من معاصي الله فلا تجوز طاعتها فيها[٤٠].

السؤال الثاني ـ يجيب عليه فضيلة الشيخ بن عثيمين.
سؤال:

صدر قرار من السلطات العليا ببلدتي الإسلامية لإجبار الفتيات وجميع النساء علىٰ خلع الحجاب وبالأخص غطاء الرأس، هل يجوز لي تنفيذ ذلك، علماً

---

(٤٠) الدعوة السعودية (٨٧٠).

بأن من يرفض ذلك ترصد له العقوبات كالرفض من العمل أو المدرسة أو السجن؟

الفتوىٰ:

هذا البلاء الذي حدث في بلدتك هو من الأمور التي يُمْتَحَنُ بها العبد، والله سبحانه وتعالىٰ يقول:

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾[41].

فالذي أرىٰ أنه يجب علىٰ المسلمات في هذه البلدة أن يأبين طاعة أولي الأمور في هذا الأمر المنكر، لأن طاعة ولي الأمر في الأمر المنكر مرفوضة قال تعالىٰ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[42].

لو تأملت الآية لوجدت أن الله قال:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[43] ولم يكرر الفعل ثالثة مع أولي الأمر فدل علىٰ

---

(٤١) العنكبوت: ١و٢. (٤٢) (٤٣) النساء: ٥٩.

أن طاعة ولاة الأمور تابع لطاعة الله وطاعة رَسُوله. فإذا كان أمرهم مُخَالِفاً لطاعة الله ورسوله فإنه لا سمع لهم ولا طاعة فيما أمروا به فيما يخالف طاعة الله ورسوله. «**ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**».

وما يُصيب النِّساء من الأذىٰ في هذه النَّاحية فإنه من الأمور التي يجب الصَّبر عليها والاسْتِعَانَة بالله تعالىٰ علىٰ الصَّبر ونسأل الله لولاة أمورهم أن يهديهم إلىٰ الحق.

ولا أظُنُّ هذا الإجْبار إلا إذا خرجت المرأة من بَيْتها، وأما في بيتها فلن يكون هذا الإجبار وبإمكانها أن تبقىٰ في بيتها حتىٰ تسلم من هذا الأمر. أما الدراسة التي تترتب عليها معصية فإنها لا تجوز، بل عليها دراسة ما تَحْتَاج إليه في دينها ودُنْياها وهذا يَكْفِي ويُمْكِنُها ذلك في البيت غَالِباً. خلاصة القول أنه لا يجوز طاعة ولاة الأمور في أمر منكر أبداً[٤٤].

السؤال الثالث ـ يجيب عليه فضيلة الشيخ بن عثيمين:

---

(٤٤) فتاوىٰ بن عثيمين ج ٢ / ٨٧٠، ٨٧١ ط ـ دار عالم الفكر.

سؤال:

رجل متزوج وله أبناء، زوجته تريد أن ترتدي الزي الشرعي وهو يعارض ذلك فبماذا تنصحونه بارك الله فيكم؟

الفتوى:

إننا نَنْصَحهُ أن يَتَّقي الله عزَّ وجلَّ في أهله وأن يحمد الله عز وجل الذي يسر له مثل هذه الزوجة التي تُريد أن تُنَفِّذ ما أمر الله به من اللِّباس الشَّرعي الكفيل بسلامتها من الفتن وإذا كان الله عز وجل قد أمر عباده المؤمنين أن يَقُوا أنْفُسهم وأهْليهم النار في قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٤٥].

وإذا كان النبي ﷺ قد حمل الرجل المسؤولية في أهله فقال: «**الرَّجُل رَاعٍ في أهله ومسؤولٌ عن رعيته**».

---

(٤٥) التحريم: ٦.

فكيف يَلِيق بهذا الرَّجل أن يُحاول إجبار زوجته على أنْ تدع الزِّي الشَّرعي في اللباس إلىٰ زي محرم، يكون سبباً للفتنة بها ومنها فليتق الله تعالىٰ في نفسه وليتق الله في أهله وليحمد الله علىٰ نعمته أن يَسَّر له مثل هذه المرأة الصالحة.

وأما بالنسبة لزوجته فإنه لا يحل لها أن تُطِيعَهُ في معصية الله أبداً لأنه لا طاعة لمخلوق في مَعْصية الخالق[٤٦].

الخلاصة: هذا حكم الشرع كما بينه علماؤنا الأفاضل، ولكن لا بد من اتباع الحكمة في رفض طاعة الولي إذا أمر بالتبرج أو منع من التحجب. والحكمة تقتضي الأمور التالية:

١ـ التأدب بعرض ما تؤمنين به دون علو للصوت أو استخدام بعض الكلمات التي تغضب ولي الأمر.

٢ـ تحمل الأذىٰ من السب والشتيمة والاستهزاء بصدر واسع دون ضجر، ودون ما يترتب علىٰ ذلك سوء

---

(٤٦) فتاوىٰ بن عثيمين (٢/ ٨٧٣).

بالمعاملة لولي الأمر.

٣ـ أن تطلبي العون بعد الله تعالىٰ من أقاربك، وقريباتك ممن اخترن طريق الهداية.

٤ـ أن تستعيني بالله أولاً، وتستمري بالدعاء علىٰ الثبات وتفريج الكرب. وقراءة القرآن والأذكار خاصة عند التعرض للسب والشتيمة والاستهزاء لدفع ما يلقي الشيطان.

٥ـ ألا تعرضي ما تؤمنين به بأسلوب المعلم. والمتعالي، بل بأسلوب المشفق والتلميذ لمدرسه، لأن الوالد أو الوالدة لا يحبان أن يريان من ابنتهما ترفعاً وأستاذية.

٦ـ رد الإساءة بالحسنة، وبالبر.

٧ـ اختيار الوقت المناسب لمفاتحتهما.

٨ـ لتعلم هذهِ الأخت أن الجنة غالية، والغالي لا يعطىٰ إلا بعد تعب ونصب وجهد وتحمل للمشاق والأذىٰ في سبيل الله.

الخـاتمة:

عندما غزانا الاستعمار الكافر من كل صوب وحدب ردحاً من الزمان، وثارت حركات التحرر في كل مكان تحارب هذا الاستعمار، اقتنع بعد الخسائر الكثيرة التي مني بها، أن الأسلوب العسكري ما عاد يجدي، وأنه يثير الحماسة والمقاومة في النفوس، فيما هوَ ليس بصالح المستعمر الذي يريد استغلال خيرات البلاد في نهضة بلاده، ففكر في طريقة أخرىٰ غير الاستعمار العسكري قبل خروجه من بلادنا، واقتنع أن خير طريقة هي الغزو الثقافي، وذلك بأن يجعـل أبناءنا تقتفي آثاره وعاداته وتقاليده وقيمه، فيكونون بذلك، خادمين للاستعمار من غير حاجة لوجود عسكري واحد، وهذا ما تم فعلاً، وكان من أبرز ما حرصوا عليه في غزوهم هذا، هوَ المرأة، أرادوها أن تكون مثل نسائهم، تصادق الرجال، وتحتك بهم، بل وتنافسهم في كل شيء، وتكشف عن عورتها، وتسبح جنباً إلىٰ جنب مع الرجال، واستخدموا من أجل ذلك عشرات الكتاب، والممثلين، ومـآت المسرحيات والأفـلام، والكتب، والمسلسـلات، والبعثـات، والصحف والمجـلات، والنوادي، والجمعيات وغيرها من الوسائل التي تصب

جميعاً في تحقيق هدفهم الأول، وهوَ تعبيد بلادنا لهم من غير عساكر، بنشر الفساد والإفساد، وحرق القيم والعادات المستمدة من ديننا الحنيف، وما نراه من تبرج وسفور إنما هوَ نتاج هذا الغزو الذي بدأ منذ سقوط الخلافة حتىٰ زماننا هذا، وكان لا بد من المصلحين عمل شيء لوقف هذا النزيف في قيمنا وعاداتنا، وما هذا العمل إلا جهد من هذهِ الجهود لإيقاف النزيف والعودة إلىٰ الأصالة وترك الذل والاتباع للكفار.

الفهـرس

شبهات وشهوات

قصص من الواقع